

الذين يجدون آمالهم هكذا محدودة . وقد نعتبر ان هذا المصير بأسوأيا . ولكننا يجب ان ندرك ان اي توقع آخر خيالي ويفتح المجال امام آلام جديدة سيكون المعنيون اولى ضحاياها طالما لم يعوا الحدود التي يفرضها الواقع عليهم « (ص ٢٤٠) .
« والمصير الانساني يقضي بان العديد من المصائب غير قابلة للتعويض » (ص ٢٥٠) .

هذا هو ملخص النظرية الهركابية التي لا تختلف بشيء عن النظرية الرسمية الاسرائيلية : لقد خسر العرب والفلسطينيون حروبا متتالية ضد اسرائيل ، والواقعية تفرض عليهم ان يقبلوا بهذه الهزيمة التاريخية (!) - كما فعل الهنود الحمر في امريكا - وان يقبلوا بحلول تضعهم عمليا تحت الرعاية الاسرائيلية . كل هذا يقال بصيغة متعالية توحى بنفس الوقت بشيء من التجرد « والموضوعية » .

المشكلة بالنسبة لهركابى ولدولتسه ان الفلسطينيين لن يرضوا - كما قال احد قادة المقاومة - بان يكونوا الهنود الحمر في المنطقة : ونضالهم المستمر وتضحياتهم ونضال الشعوب العربية الاخرى خلال اكثر من نصف قرن اثبات على هذا القول . لقد شاء التاريخ - عكس ما يقوله هركابى - ان تاتي الغزوة الاسرائيلية مفاجئة في عصر اصبح فيه الاستعمار الاستيطاني غير قابل للتطبيق الناجح . ومأساة الهنود الحمر لن تتكرر في القرن العشرين في عصر ثورات العالم الثالث وانتصارات الاشتراكية المتتالية في العالم . والتاريخ - ولو لم ير هركابى ذلك بحكم موقعه - يسير باتجاه معاكس : اتجاه تحرر الشعوب وتطبيق حقها في تقرير المصير ، اتجاه انهزام اليمبريالية في اركان متسعة من العالم . ومهما كان النضال الفلسطيني صعبا ، ومهما حيك المؤامرات اليمبريالية حوله وحول حركة التحرر العربية ، ومهما طالت عملية التطور داخل اسرائيل باتجاه تخلص السكان من الهيمنة الابدويولوجية للصهيونية ، فالاتجاه العام في العالم ينطبق على المنطقة وسينتهي الصراع بانتصار قوى التحرر غربا ويهودا ضد اركان القمع اليمبريالي والصهيوني . وخطابات التابن التي ترددها اجهزة الاعلام الصهيونية و« المثقفون » (امثال هركابى) في خدمتها ، لن تدخل الياس السى تلوب ابناء فلسطين وانباء قضايا الشعوب . وسيقتفرون عبارة احد القادة الثوريين : « ان يتهم عليك العدو ، فهذا شيء حسن » .

الفدائي « شكل قبلا مشكلة ضئيلة بالنسبة لاسرائيل ، اما اليوم فهو يكاد لا يذكر » (ص ٢١٢) . و« حرب العصابات العربية ضد اسرائيل قد فشلت » (ص ٢٤٣) و« حتى عند اليساريين المتطرفين انفسهم بدأت تساؤلات تظهر حول قيام الفلسطينيين فعلا بحرب ثورية مستندة على جماهير ثورية » (ص ٢١٢) « والواقع ... انهم لم يقوموا بحرب تحرير وطنية حقيقية ، بينما قامت اسرائيل بحرب دفاع عن الوجود » (ص ٢١٣) . ومشكلة الفلسطينيين في عدم واقعتهم برأي هركابى لانهم « مهملوا ، فلن يتوصلوا ابدا الى اقتناع الاسرائيليين بالتخلي عن سيادتهم على اسرائيل او نزع الصفة الصهيونية (وهذا يعني اليهودية) لبلدهم » (ص ٢٠٥) . فمأساتهم اذا ليست « بانهم لم ينالوا الاعتراف بوجودهم كشعب او آمة ، ولكن لان ليس بمقدورهم ان يترجخوا هذا الاعتراف الى وقائع سياسية » (ص ٢٣٣) .

وحتى يتوصل الفلسطينيون الى واقعية اكبر (أي استسلام تام امام الاستعمار الاسرائيلي) لا بد من استعمال كافة اساليب « الاقتناع » : « أي تغيير بهذا العمق (باتجاه تلبين مواقف المقاومة) لن يحدث الا اذا ضاعفت الدول العربية في قمعها ضد الحركات الفلسطينية . عندما تدرك الدول العربية لاي مدى يتوقدها الصراع الى الانحلال السياسي ... ربما قررت القيام بعمل حاسم ضد الاجزة الفلسطينية في الخارج » (ص ١٠٤) . ومن المفيد الاشارة الى ان هذا النداء لقمع المقاومة من قبل انظمة عربية نشر في مطلع ١٩٧٠ .

وليس للكاتب الا ان يأمل بان « الانتكسارات المتتالية في العمل من أجل تدمير الدولة اليهودية سيقود جدليا الى ... الرضوخ الى وجودها ، وانتهاء الصراع هكذا » (ص ٥٠) .

لا طريق اذا الا القبول « بالسلام الاسرائيلي » ولا حل الا بدويلة او مقاطعة متعاونة او متحدة مع الاردن واسرائيل . وهذا الحل لا يشكل « الصورة المثالية التي يتمناها الفدائيون وعدد كبير آخر من الفلسطينيين ... الا ان التاريخ احيانا ظالم وبما انه ليس بمقدور الفلسطينيين ان يغيروا ايا من اسرائيل او الاردن حسب رغبتهم ، فالتاريخ لا يطرح لهم حلا آخر » (ص ٢٣٩) ولا تجدي الدموع شيئا « فقد نأسف لمصر الفلسطينيين